بسم الله الرحمن الرحيم



المنطلقات الفكرية والعقدية لمدارس الطعن في الصحيحين
(الفكر الاعتزالي انموذجاً)

بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من 14– 2010/7/15م بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية

إعداد:

عصر محمد ذيب النصر

ماجستير أصول دين

المملكة الأردنية الهاشمية

ملخص البحث:

يعد هذا البحث محاولة جادة لإلقاء الضوء على منهجية التعامل مع السنة النبوية عند أهل السنة، وانه من مقتضيات شهادة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حاول الباحث إلقاء الضوء على أسباب الخلل الحاصل في الأمة في جانب تلقي الحديث النبوي الشريف والتعامل معه .

وقد عمل الباحث بعد ذلك على رصد المنطلقات العقدية والفكرية التي اعتمد عليها أصحاب الفكر الاعتزالي محاولا إظهارها بتجرد من خلال النظر في منهجيتهم في التعامل مع السنة النبوية.

كما عمل الباحث على تجلية مراحل تطور الفكر الاعتزالي ومحطات انتقاله من خلال بيان جذوره الأولى ثم مرحلة الاستشراق ثم ما بعده وهي اخطر المراحل حيث جمعت بين رواسب الماضي ومغالطات الحاضر من خلال زيادات المستشرقين، فضلا عن أراء أصحابها المعاصرين .

كما يشير الباحث هنا إلى انه لم يعنَ كثيرا بالرد بقدر ما عُني بتوضيح الأفكار وتجليتها .

والله اعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ،واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما مزيدا .

وبعد:

فالحمد لله الذي أرسل إلينا رسولا من أنفسنا ، يتلو علينا آيات الله ويزكينا ، ويعلمنا الكتاب والحكمة وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين، إعلم أرشدك الله لطاعته أن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة وأسس بنيانه عليها ،فلا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت أثار الرسل موجودة فيهم ،فإذا درست أثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية أذن الله بخراب العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة .

وكان خاتم الرسل وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد بن عبد الله ﷺ يقول :"يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة "[1]، وقال تعالى :" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ "[2]، وقال ﷺ:"إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب "[3]"،وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل ،فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ،فبعثه رحمة للعالمين ومحجة للسالكين ،وحجة على الخلائق أجمعين وافترض على العباد طاعته ومحبته ،وتعزيره وتوقيره ،والقيام بأداء حقوقه ،وسد إليه جميع الطرق ،فلم يفتح لأحد إلا من طريقه. مهد الله ببعثته الدلائل ،وأوضح به البينات ،وأظهر من الآيات ما أزعج به القلوب وبعث الخواطر على النظر في المطلوب .[4]

فأسعد الناس من جعل أصول دينه تبع لما جاء به الرسول ﷺ ، فإن الله أرسله بالهدى ودين الحق ،فلا هدى إلا فيما جاء به ، يقول ابن أبي العز رحمه الله "فالواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم والانقياد لأمره ،وتلقي خبره بالقبول والتصديق ،دون أن يعارض بخيال باطل يسميه معقولا، أو

---

[1] [الحاكم في المستدرك ،كتاب الايمان ، باب هو صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة 107 ، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرطهما]

[2] [الانبياء :107]

[3] [مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ح 2865]

[4] [رسالة الى اهل الثغر لابي الحسن الاشعري ص 188-189]

تحمله شبهة أوشكا ، أو يقدم عليه أراء الرجال فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان ،كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان،لا نجاة للعبد من عذاب الله الابهما :توحيد المرسل ومتابعة الرسول ،فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ،ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم "[5]

لذلك كانت الحجة الواجبة الإتباع للكتاب والسنة والإجماع، فإ ن هذا حق لا باطل فيه، واجب الإتباع لا يجوز تركه بحال، ولا الخروج عن شيء مما دلت عليه، وه ي مبنية على أصلين:
احدهما :أن هذا جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
الثاني:أن ما جاء به الرسول وجب إتباعه.[6]

أما الأصل الأول : فهي مقدمة علمية مبناها على العلم بالإسناد والعلم بالمتن ،وذلك لأهل العلم بالكتاب والسنة والإجماع لفظا ومعنى وإسنادا ومتنا ،فكان لا بد لمن أراد معرفة ذلك من النقل والرواية لا مجرد العقل فكما إن نور العين لا يرى الامع ظهور نور أمامه كذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا اطلعت عليه شمس الرسالة وقد خص الله هذه الأمة بعلم الإسناد والرواية وجعله سلما إلى الدراية ، فكان لابد لمن أراد برد اليقين والاطمئنان بالدين ومعرفة ما جاء به سيد الأولين والآخرين من العناية بالأحاديث والآثار.

وكما خص الله هذه الأمة بهذه الفضيلة،كذلك تميز أهل السنة والحديث من بين سائر طوائف الأمة بالعناية بالأحاديث النبوية الشريفة فهي المبينة للقران والمفسرة له والدالة عليه ،وقد انبرا علماء الحديث في الماضي والحاضر بالرد على من خالف في حجية السنة النبوية اوشكك في ثبوتها ،فكان لهم من وسائل النقد وفحص الروايات ومعرفة الراوي ما لم يكن لطائفة من الطوائف فضلا عن امة من الأمم ،وهذا يعود إلى فضل اختصاص لهم تميزوا به عن سائر الناس .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:"وإنما يعرف ذلك_اي معرفة الموضوع من غير نظر في إسناده _من تضلع في معرفة السنن الصحيحة ،وخلطت بدمه ولحمه ،وصار له فيها مكانة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه فيما يأمر به

[5] [شرح الطحاوية ص228 ،قوله توحيدان ،فالاولى ان يسميهما اصلان]
[6] [مجموع الفتاوى 19/5-6]

وينهى عنه ويخبر عنه ويدعو إليه ويحبه ويكرهه ،ويشرعه للأمة بحيث كأنه كان مخالطا للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه"[7]

والاحتجاج بالأحاديث النبوية وحصول العلم بها عند أهل الحديث يعود إلى قواعد يقينية لا يتخالجها شك أو يعتريها نقص ، فهي ترجع إلى المخبر ،والى المخبر عنه والمخبر به،والمخبر.

أما ما يرجع إلى المخبر فان الصحابة رضي الله عنهم الذين بلغوا الأمة سنة نبيهم كانوا اصدق الخلق لهجة وأعظمهم أمانة وأحفظهم لما يسمعونه ،وخصهم الله تعالى من ذلك بما لم يخص به غيرهم ،فكانت طبيعتهم قبل الإسلام الصدق والأمانة ؛ثم ازدادوا بالإسلام قوة في الصدق والأمانة ،وكان صدقهم عند الأمة وعدالتهم وضبطهم وحفظهم عن نبيهم أمرا معلوما لهم بالاضطرار ،كما يعلمون إسلامهم وإيمانهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كذلك الرواة الثقات العدول الذين رووا عنهم هم اصدق الناس لهجة وأشدهم تحريا للصدق والضبط حتى لا يعرف في جميع طوائف بني ادم اصدق لهجة ولا أعظم تحريا للصدق منهم ،لذلك كان علماء الأمة في القديم والحديث يعظمون نقلة الحديث والآثار ،حتى قال الشافعي رحمه الله :"إذا رأيت رجلاً من أهل الحديث فكأنما رأيت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم "[8]

وأما ما يرجع إلى المخبر عنه فإن الله تكفل لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يظهر دينه على الدين كله وأن يحفظه حتى يبلغه الأول لمن بعده فلا بد أن يحفظ الله سبحانه حججه وبيناته على خلقه ، لئلا تبطل حججه وبيناته ،ولهذا فضح الله من كذب على رسوله في حياته وبعد مماته وبيّن حاله للناس ، قال سفيان بن عيينه :" ما ستر الله أحدا يكذب في الحديث ": وقال ابن المبارك لو همّ رجل أن يكذب في الحديث لأصبح الناس يقولون فلان كذاب "، وحرف المسألة انه لا يجوز أن يكون الخبر الذي تعبد الله به الأمة وتعرف به إليهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كذبا باطلا في نفس الأمر فإنه من حجج الله على عباده ،وحجج الله لا تكون كذبا باطلا ، بل لا تكون الاحقا في نفس الأمر ،ولا يجوز أن تتكافأ أدلة الحق والباطل ،ولا يجوز أن يكون الكذب

---

[7] [المنار المنيف ص35]

[8] [مجموع الفتاوى 11/1]

على الله وشرعه ودينه مشتبها بالوحي الذي أنزله الله على رسوله وتعبد به خلقه ،بحيث لا يتميز هذا من هذا فان الفرق بين الحق والباطل ، والصدق والكذب ووحي الشيطان ووحي الملك عن الله اظهر من أن يشتبه أحدهما بالأخر ، وقد جعل الله على الحق نورا كنور الشمس يظهر للبصائر المستنيرة .

وأما ما يرجع إلى المخبر به فإنه الحق المحض وهو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كلامه وحي فهو اصدق الصدق ،وأحق الحق بعد كلام الله ،فلا يشتبه بالكذب والباطل على ذي عقل صحيح ،بل عليه من النور والجلالة والبرهان ما يشهد بصدقه ،والحق عليه نور ساطع يبصره ذو البصيرة السليمة ،فبين الخبر الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الخبر الكاذب عنه من الفرق كما بين الليل والنهار والضوء والظلام وكلام النبوة تميز بنفسه عن غيره من الكلام الصدق ،فكيف نسبته إلى الكذب ،ولكن هذا إنما يعرفه من له عناية بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخباره وسنته ، ومن سواهم في عمى عن ذلك ،فإذا قالوا أخباره وأحاديثه الصحيحة لا تفيد العلم فهم مخبرون عن أنفسهم أنهم لم يستفيدوا منها العلم فهم صادقون فيما يخبرون به عن أنفسهم كاذبون في أخبارهم إنها لا تفيد العلم لأهل الحديث .

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله :"وليس يحتاج _أرشدكم الله _في الاستدلال بخبر الرسول عليه السلام على ما ذكرناه من المعرفة بالأمر الغائب عن حواسنا إلى مثل ذلك _يشير إلى دليل الأعراض الذي اعتمد عليه المتكلمون ،لأن آياته والأدلة الدالة على صدقه محسوسة مشاهدة قد أزعجت القلوب ،وبعثت الخواطر على النظر في صحة ما يدعو إليه "[9]

وإنما يؤتى الإنسان ويدخل الزيف عليه والباطل، م ن نقص متابعته للرسول صلى الله عليه وسلم بخلاف المؤمن المحسن، المتبع له في أقواله وأفعاله، فان أقوال الرسول عليها جلالة، ولها ناموس.[10]

وأما ما يرجع إلى المخبر فالمخبر نوعان :نوع له علم ومعرفة بأحوال الصحابة وعدالتهم وتحريهم للصدق والضبط وكونهم أبعد خلق الله عن الكذب وعن الغلط والخطأ فيما نقلوه إلى الأمة وتلقاه بعضهم عن بعض بالقبول ، وتلقته الأمة عنهم كذلك ،وقامت شواهد صدقهم فيه ، فهذا المخبر يقطع بصدق المخبر ويفيده خبره العلم واليقين لمعرفته بحاله وسيرته .

---

[9] [رسالة الى اهل الثغر ص188-189]

[10] [قواعد التحديث للقاسمي ص174]

ونوع لا علم لهم بذلك ،وليس عندهم من المعرفة بحال المخبرين ما عند أولئك ،فهؤلاء قد لا يفيدهم خبرهم اليقين ،فإذا انضم عمل المخبر وعلمه بحال المخبر ونضاف إلى ذلك معرفة المخبر عنه ونسبة ذلك الخبر إليه ،أفاد ذلك علما ضروريا بصحة تلك النسبة.

– وأما الأصل الثاني: وهو أن ما جاء به الرسول وجب إتباعه.

وهذه مقدمة إيمانية ضدها الكفر والنفاق ،وقد دخل في بعض ذلك طوائف من المتكلمة والمتفلسفة والمتآمرة والمتصوفة ، إما بناء على نوع التقصير بالرسالة ، وإما بناء على نوع تفضل عليها ،وإما على عين إعراض عنها ، وإما على أنها لا تقبل إلا في شيء يتغير ،كالفروع _مثلا _دون الأصول العقلية أو السياسية ، أو غير ذلك من الأمور القادحة في الإيمان بالرسالة .[11]

ومما يوضح هذا الأصل أن الإيمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم يتضمن الإيمان بأنه مرسل من ربه سبحانه وتعالى وأن الله أوحى إليه وانه يبلغ عن الله فهو صادق في كل ما اخبر به عنه كما يدل قوله سبحانه:

" وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى "[12] وانه مرسل للناس كافة وانه خاتم الأنبياء والمرسلين، كما يتضمن العزم على إتباعه والانقياد لموجب الرسالة وان لا يعبد الله إلا بشريعته،كما يتضمن محبته صلى الله عليه وسلم لمحبة الله له ، ولاختياره ليكون واسطة تبليغ دين الله الذي به حياة القلوب ،والفوز في الدنيا والآخرة ،ومحبة هديه وما جاء به من الدين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"وقد تبين بذلك انه لا يمكن أن يكون تصديق الرسول فيما اخبر به معلقا بشرط ، ولا موقوفا على انتفاء مانع ،بل لا بد من تصديقه في كل ما اخبر به تصديقا جازما ،كما في أصل الإيمان به ... ولهذا كان من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام انه يجب على الخلق الإيمان بالرسول إيمانا مطلقا جازما عاما ،بتصديقه في كل ما اخبر ،وطاعته في كل ما اوجب وأمر ،وان كل ما عارض ذلك فهو باطل ،وان من قال :يجب تصديق ما أدركته بعقلي ،ورد ما جاء به الرسول لرأي وعقلي ،وتقديم عقلي على ما اخبر به الرسول، م ع تصديقي بان الرسول صادق فيما اخبر به، فهو متناقض فاسد العقل ماجن في الشرع وأما من قال:لا اصدق ما اخبر به حتى اعلمه بعقلي، فكفره ظاهر..."[13]

---

[11] [مجموع الفتاوى 19/6]

[12] [النجم 3–4]

[13] [درء التعارض 189/1]

وقد بين أهل العلم أن من جوّز أن يكون فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ما يعارض صريح المعقول لم يزل في ريب من ثبوت ما اخبر به ،ومن المعلوم أن العلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم صادق مقصوده تصديق أخباره والمقصود بتصديق أخباره التصديق بمضمونها ، فمن لم يصدق بمضمونها كان بمنزلة من آمن بالوسيلة ولم يحصل له المقصود.[14]

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله :"اعلم إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله ، على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع ،ولهذا لم يحكِ الله عن أمة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه ،وبلغها عن ربها ،ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها ،بل انقادت وسلمت وأذعنت ،وما عرفت من الحكمة عرفته وما خفي عنها ،لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته ...

فأول مراتب تعظيم الأمر :التصديق به ، ثم العزم الجازم على امتثاله ،ثم المسارعة إليه والمبادرة به القواطع والموانع ،ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه ثم فعله لكونه مأمورا به ،بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفة حكمته فان ظهرت له ،فعله وإلا عطله ،فان هذا ينافي الانقياد ،ويقدح في الامتثال " .[15]

- أسباب الخلل في التعامل مع السنة النبوية :

إن الناظر في تاريخ الأمة المسلمة يرى بأن الخلل في التعامل مع السنة النبوية قد حصل في زمن مبكر يعود إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث ذي الخويصرة والذي اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم العدل ، إلا أن هذا الخلل لم يتخذ منهجا عاما يسير عليه أصحابه بل كان حوادث فردية لا تشكل منهجا عاما إلا انه كان يمثل بداية لمدارس فكرية تتخذ من ترك السنة وعدم الاحتجاج بها منهجا عاما له أصوله وقواعده التي يسير عليها ويحاكم إليها النصوص وكان لهذا الخلل أسباب ظهرت ابتداءً في الحديث المشار إليه
حديث ذي الخويصرة وهو ضعف الإيمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ،وسأرجئ الكلام عن هذا السبب والعوامل المؤثرة به إلى مبحث المنطلقات العقدية والفكرية لأنها تمثل وحدة واحدة تشكل بمجموعها ضعف الإيمان بالنبوة وكيفية التعامل معها .

---

[14] [ينظر درء التعارض338/5]

[15] [شرح الطحاويه ص341]

إما السبب الثاني: هو دخول علم المنطق والكلام في منهاج الفرق الكلامية، وهذ ا السبب له تعلق مباشر بالسبب الأول حيث يمثل بديلا اتخذته هذه الفرق عن النصوص النبوية في التعامل مع العقائد.

لذلك كان من الأهمية بمكان دراسة اثر المنطق الذي هو بوابة الفلسفة على مناهج الفرق الإسلامية الكلامية والكلام عن أصول الفلاسفة اللادنيين واثر هذه الأصول على معتقدات هذه الفرق.[16]

أما المنطق فيعرفه أصحابه بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن إن يزلّ في فكره، وقد بنوا هذا العلم على القياس وحصروا العلم بهذه الطريقة وأن العلم لا يستفاد إلا بها.[17]

التعريف بالفلاسفة وبيان أصولهم ومدى تأثر الفرق الكلامية بهذه الأصول :

الفلاسفة :اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها .

وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الأنبياء ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه.

واخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لإتباع أرسطو وهم المشأوون خاصة وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها وقررها .وهي التي يعرفها بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين.

والذي ينبغي معرفته أن الفلاسفة لا يؤمنون بوجود الله حقيقة ،ولا يؤمنون بوحي ولا نبوة ولا رسالة وينكرون كل غيب ،فالمبادئ الفلسفية جميعها تقوم على أصلين هما:

-الاصل الأول :أن الاصل في العلوم هو عقل الإنسان ،فهو عندهم مصدر العلم.

-الاصل الثاني :أن العلوم محصورة في الأمور المحسوسة المشاهدة فقط.

وأما الرسل والأنبياء فللنبوة عندهم ثلاث خصائص، من استكملها فهو نبي:

- احدها :قوة الحدس ،بحيث يدرك الحد الأوسط بسرعة

- الثانية :قوة التخييل ،بحيث يتخيل في نفسه أشكالا نورانية تخاطبه،ويسمع الخطاب منها ،ويخيلها إلى غيره

---

[16] [انظر لمعرفة مدى تأثر الفرق الكلامية بعلوم اليونان ما يلي :رسالة الى اهل الثغر ص 185 ،مجموع الفتاوى 2/7-8 المنهج المقترح لدراسة المصطلح ص 69 ،موقف الطوائف من الاسماء والصفات ص 69-73]

[17] [مجموع الفتاوى 26/9، 130/149]

– الثالثة :قوة التأثير بالتصرف في هيولى العالم ، وهذا يكون عندهم بتجرد النفس عن العلائق واتصالها بالمفارقات ،من العقول والنفوس المجردة .
وهذه الخصائص تحصل عندهم بالاكتساب.[18]

وأما الملائكة عندهم فهي أشكال نورانية كما تقدم يتخيلها النبي ثم يخيلها إلى غيره فالملائكة إذا مجرد خيال لا حقيقة له .

كما أنهم لا يؤمنون ببعث ولا حشر ولا جنة ولا نار فكل هذه الأمور عندهم جاءت بها الأنبياء لإصلاح الناس وتهذيب سلوكهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"وأما الطرائق الفلسفية الكلامية ،فإنهم ابتدئوا بنفوسهم، فجعلوها هي الاصل الذي يفرعون عليه ،والأساس الذي يبنون عليه، فتكلموا في إدراكهم للعلم :انه تارة يكون بالحس وتارة بالعقل وتارة بهما ،وجعلوا العلوم الحسية والبديهية ونحوها هي الاصل الذي لا يحصل علم إلا بها"[19]

وقال:"أما النبوة والرسل، فليس لهؤلاء فيها كلام معروف، لا نفيا ولا إثباتا "[20]

وقد بين رحمه الله في موضع أخر من كتبه سبب عدم معرفة الفلاسفة للأنبياء، وبين أحوال الفلاسفة المنتسبين للإسلام مع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.[21]

إذا الناظر في أصول الفلاسفة يتبين له موقفهم من الأنبياء وما جاؤوا به من عند الله تعالى ، فأصلهم الأول الذي يعتبر أن الإنسان هو أصل العلم وأساسه أبطلوا من خلاله الوحي فلا حاجة إذا للوحي عندهم.

وأما أصلهم الثاني: وهو حصر الإيمان بالشئ المحسوس المشاهد ،فأبطلوا من خلاله الإيمان بالغيب من ملائكة وجنة ونار .

---

18 [موقف الطوائف من الاسماء والصفات ص6–73]

19 [مجموع الفتاوى 21/2–22]

20 [مجموع الفتاوى 84/2]

21 [انظر لذلك كتاب النبوات195/1–205]

والذي ينظر في أقوال الفرق الكلامية الإسلامية يرى أثر هذين الأصلين على معتقدات هذه الفرق بشكل واضح، كإنكار علو الله سبحانه وتعالى وما يتعلق به من استواء ونزول ورؤية ،ويظهر كذلك فيما يتعلق بإثبات الصراط والميزان وغبر ذلك من أمور الآخرة [22].

وأظهر أثر لهذين الأصلين هو التنكر للوحي إما عن طريق عدم إثبات العقائد به وإما عن طريق تقسيم الأحاديث إلى أحاد وتواتر وجعل الثاني هو الذي تُبنى عليه العقيدة دون الأول ، أو عن طريق التأويل بحجة أن الظاهر غير ممكن أو مستحيل لمخالفته العقل .

لذلك جعل أصحاب هذه الفرق عمدة الكلام عندهم ومعظمه، هـ و تلك القضايا التي يسمونها العقليات وهي أصول دينهم.وقد بنوها على مقاييس تستلزم رد كثيراً مما جاءت به السنة فلحقهم الذم من جهة ضعف المقاييس التي بنوا عليها ومن جهة ردهم لما جاءت به السنة.

وهم قسمان: قسم بنوا على هذه العقليات القياسية الأصول العلمية دون العملية كالشاعرية .
وقسم بنوا عليها الأصول العلمية والعملية كالمعتزلة.[23]

وقد أوضح أئمة السنة وعلماء الحديث هذا الخلل ومدى تأثر الفرق الكلامية بعلوم الفلسفة وبُعدها عن الأصول الشرعية الصحيحة في العقيدة والاستدلال.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله :"...وصار خبره _عليه السلام_عند ذلك سبيلا إلى إدراكه_اي ما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب وما يتعلق بأسماء الله وصفاته_وطريقا إلى العلم بحقيقته وكان ما يستدل به من أخباره _عليه السلام_على ذلك أوضح دلالة من دلالة الأعراض التي اعتمد على الاستدلال بها الفلاسفة ومن اتبعها من القدرية،وأهل البدع المنحرفين عن الرسل عليهم السلام " [24]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :" إن المعارضة بين العقل ونصوص الوحي ،لا تتأتى على قواعد المسلمين المؤمنين بالنبيين حقا ،ولا على أصول أحد من أهل الملل ، المصدقين بحقيقة النبوة ،وليست هذه المعارضة من الإيمان بالنبوة في شيء ،وإنما تتأتى هذه المعارضة ممن يقر بالنبوة على قواعد الفلسفة ويجريها على أوضاعهم وان الإيمان بالنبوة عندهم ،هو الاعتراف بموجود حكيم ،له طالع مخصوص

---

[22] [انظر لبيان اثر الفلاسفة الصواعق المرسلة 1427/4، الاشاعرة عرض ونقضص157 ، نشأة الفكر الفلسفي للنشار 481/1-482،تاريخ المذاهب لابي زهرة ص129]

[23] [انظر للتوسع مجموع الفتاوى 7/2-8]

[24] [رسالة الى اهل الثغر ص184-185]

يقتضي طالعه أن يكون متبوعا ،فإذا أخبرهم بما لا تدركه عقولهم عارضوا خبره بعقولهم وقدموها على خبره ... ثم سرت معارضتهم في المنتسبين إلى الرسل ، فتقاسموها تقاسم الوارث لتركه مورثهم فكل طائفة كان الوحي على خلاف مذهبهم ، وقول من قلدوه لجأوا إلى هذه المعارضة ،واعتصموا بها دون نصوص الوحي ومعلوم أن هذا يناقض الإيمان بالنبوة"[25]

وبعد هذه المقدمة التي أوضحت فيها طريقة أهل السنة في تلقي الحديث النبوي وأنه يمثل ركنا أساسيا من معنى شهادة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الإيمان بالحديث النبوي والعمل به من موجبات الشهادة وأوضحت الخلل الواقع في الأمة وسبب ذلك الخلل .

وهذا أوان الشروع بالكلام على المنطلقات العقدية والفكرية التي اعتمد عليها أصحاب الفكر الاعتزالي في رد السنة النبوية عموما وأحاديث الصحيحين على وجه الخصوص.

– المبحث الأول: المنطلقات العقدية والفكرية التي اعتمد عليها أصحاب الفكر الاعتزالي للطعن في السنة عموما والصحيحين على وجه الخصوص:

وفي بداية كلامي عن المنطلقات العقدية الفكرية ، أود أن أوضح مرادي بالفكر الاعتزالي فليس مرادي هنا فرقة معينة مثل المعتزلة وإنما كلامي على منهج عام واعتقاد قد سرى في كل فرقة كلامية قد خالفت في آرائها واعتقاداتها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأئمة المسلمين ،وان كان للمعتزلة خصوصية في ذلك كما سيأتي

إذا فالكلام هنا عن أصحاب الفكر الاعتزالي ، فأقول قد أجمع الباحثون في السنة وعلومها وكتاب الفرق والمقالات أن أول من عُرف برد السنة وترك الاحتجاج بها هم المنتسبون للمدرسة الاعتزالية ومن ثم انتقل إلى سائر الفرق مع مرور الأيام وتداخل الأفكار .

كما اتفقت الكلمة على أن رد السنة ما هو إلا تعبير عن حقد دفين على الإسلام وأهله ووسيلة من الوسائل التي اتخذتها الطوائف والأمم التي قضى الإسلام عليها ونسخ دياناتها لهدم هذا الدين ،فلم يهدأ لهم بال ولم يقر لهم قرار منذ رأوا ذلك الانتشار السريع للإسلام .[26]

---

[25] [الصواعق المرسلة 3/ 956]

[26] [مكانة السنة للسباعي ص171،دفاع عن السنة لابي شهبة ص386 ، التنكيل للمعلمي ص27/1 ،الاصول التي بنى عليها المبتدعة كلامهم في الصفات 126/1 ،مقدمة الفرق بين الفرق لمحي الدين عبد المجيد]

ولما كانت المجابهة المكشوفة لهذا الدين وكتابه الكريم غير ممكنة لجأ هؤلاء الأعداء إلى حيلة التظاهر بالإسلام وإبطال خلافه ثم اخذوا يثيرون الشبهات ويبثون الشكوك بين المسلمين ،وقد وجهوا رماح شكوكهم وسهام شبهاتهم إلى السنة المطهرة ورواتها.[27]

يقول الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله في بيان أول هذا الأمر والمراحل التي مرّ بها :"وأما المتكلمون فأول من بلغنا انه خاض في ذلك عمرو بن عبيد ،ذكر حديث يخالف هواه ،رواه الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمرو :"لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته ،ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته ولو سمعت ابن مسعود يقوله لما قبلته ،ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا لرددته ،ولو سمعت الله يقول هذا لقلت :ليس على هذا أخذت ميثاقنا "[28]

ثم كان في القرن الثاني جماعة ممن عرف بسوء السيرة والجهل بالسنة ورقة الدين كثمامة بن أشرس والنظام والجاحظ خاضوا في ذلك كما أشار إليه ابن قتيبه وغيره ،وجماعة آخرون يتعاطون الرأي والكلام يردون الأخبار كلها ، وآخرون يردون أخبار الآحاد أي ما دون التواتر ... ثم كانت المحنة وويلاتها وكان دعاتها لا يجرؤون على رد الحديث ...ثم جاء ابن الثلجي فلم يجرؤ على الرد وإنما لفق ما حاول به إسقاط حماد بن سلمه ،وجمع كتابا تكلف فيه تأويل الأحاديث وتبعه من الاشعرية ابن فورك في كتابه ثم اشتهر بين المتكلمين أن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة لا تصلح حجة في صفات الله عز وجل ونحوها من الاعتقادات وصرحوا
ذلك في كتب الكلام والعقائد كالمواقف وشرحها والأمر أشد من ذلك كما سيأتي في قسم الاعتقاديات إن شاء الله تعالى ..."[29]

إذا فقد تبين لنا أن أول من قال بذلك –أي رد السنة – هم المعتزلة ثم انتشر هذا الأمر بين سائر الفرق الكلامية حتى أصبح منهجا لها وقعدت له القواعد.

أما ما يتعلق بالمنطلقات التي اعتمدت عليها هذه الفرق فتقوم من حيث الاصل على أساسين اثنين تتفرع عنهما سائر المنطلقات ،وان كان لهذين الأساسين أسباب قبلهما آثرت فيهما كما سيأتي توضيحه :

---

[27] [تدوين السنة النبوية للزهراني ص152]

[28] [ينظر ميزان الاعتدال للذهبي 273/3،ترجمة عمرو بن عبيد]

[29] [التنكيل للمعلمي 27/1 ،وانظر كذلك 279/2]

– أما الأساس الأول : التشكيك في عدالة النقلة ،ولا سيما الصحابة رضي الله عنهم وهذا يعود إلى أصل عقدي عندهم يتعلق بمسائل الإيمان ،حيث يرون أن الصحابة بعد مقتل عثمان والقتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين يدور حالهم بين فاسق وكافر.

– وأما الأساس الثاني :تقديم الدليل العقلي على الدليل النقلي .[30]

فهذان الأساسان هما ما تفرع عنهما سائر المنطلقات كما سيأتي توضيحه إن شاء الله .

– المنطلق الأول: ضعف الإيمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه المسألة تعد نتيجة من نتائج الطرق الكلامية الفلسفية التي سلكها المتكلمون في إثبات وجود الله تعالى حيث جعل المتكلمون لأنفسهم قوالب منطقية ليتوصلوا من خلالها إلى إثبات وجود الله واثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فحصروا العلم بوجود الله بطريقة الأعراض وحدوث الأجسام وحصروا معرفة النبوة بالمعجزات المؤيدة والمقرونة بالتحدي .[31]

وقد نتج عن هذين المسلكين من النتائج السلبية والاضطراب في المعتقد الشيء الكثير .

فأما مسألة إثبات وجود الله بهذه الطريقة –أي طريقة الأعراض وحدوث الأجسام – فأثبتوا من خلالها وجودا مطلقا لا يتميز عن سائر الموجودات ولزمهم القول بنفي المعرفة الفطرية والمعرفة عن طريق الرسل الذي هو أكمل الطرق.

لذلك كان إثبات وجود الله واثبات أسمائه وصفاته لا يمكن عن طريق الرسل عندهم بل من خلال العقل فأوجبوا النظر على كل مكلف بل قد ورد عن بعضهم –وان كان يلزم جميع من قال بهذا القول – تكفير من لم ينظر.[32]

كذلك النبوة لا تعرف إلا من خلال المعجزة المقرونة بالتحدي ،فليس للنبي صفات ثبوتية في نفس الأمر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"الإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة ،فمن لم يحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال ،والإيمان والكفر ،ولم يميز بين الخطأ والصواب

ولما كان الذين اتبعوا هؤلاء وهؤلاء من المتأخرين –أي الذين خلطوا بين الفلسفة والاشعرية –مثل أبي حامد ،والرازي والامدي وأمثالهم : هذا ونحوه مبلغ علمهم بالنبوة ،لم يكن لها في قلوبهم من العظمة ما

---

[30] [انظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد 110/1]

[31] [مجموع الفتاوى 2/1–2 ،مختصر الصواعق ص156 ،رسالة الى اهل الثغر 185–186 ،الاصول التي بنى عليها المبتدعة 317/1]

[32] [انظر كتاب الفطرة ص299 ، الاشاعرة عرض ونقض ص29]

يجب لها فلا يستدلون بها على الأمور العلمية الخبرية ؛ وهي خاصة النبي ،وهو الأخبار عن الغيب والإنباء به ؛ فلا يستدلون بكلام الله ورسوله على الإنباء بالغيب التي يقطع بها ، بل عمدتهم ما يدعونه من العقليات المتناقضة "[33]

فإذا كان هذا الكلام في مثل هؤلاء العلماء الذين عرف كثير منهم بالصلاح والتقوى مع خطئهم فيما سلكوه من الطرق الكلامية ،فكيف بمن عرف بالزندقة وسوء الطوية واشتهر بالفسق والمجون وقد أوضح الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله وجود هذه الأصناف ممن عرفوا بقلة الدين وسوء الطوية في صفوف المعتزلة عند كلامه على سبب العداوة بين المعتزلة وأهل السنة والحديث حيث قال :"وكان كثير من ذوي الإلحاد يجدون في المعتزلة عشا يفرخون فيه بمقاصدهم وآرائهم ،ويلقون فيه دسهم على الإسلام والمسلمين ،حتى إذا ظهرت أغراضهم أقصاهم المعتزلة عنهم ،فابن الروندي كان يعد منهم وأبو عيسى الورّاق وأحمد بن حائط وفضل الحدثي كانوا ينتمون إليهم ، وهؤلاء اظهروا آراء هادمة لبعض المقررات الإسلامية ..."[34]

وأما الآثار العملية لهذا المنطلق سأرجئ الكلام عليها وذلك لارتباط هذا المنطلق بما يأتي بعده .

– المنطلق الثاني: تعظيم الحس وضعف الإيمان بالغيب:

إن الإيمان بالغيب ركن من أركان الدين لا يصح الدين إلا بالإيمان به ،لذلك امتدح الله المؤمنين وجعل الإيمان بالغيب من صفات المتقين المؤمنين بوحيه سبحانه وتعالى، قال تعالى :" الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ "[35] الآيات ،ولذلك جاء في الكتاب والسنة من الأخبار ما لا يمكن للعقل مجردا عن الإيمان التصديق بها كالأخبار عن الجنة ونعيمها والنار وعذابها وكالأخبار عن أية الإسراء والمعراج وما جرى قبلها وبعدها من الآيات العظيمة ، فإن الإيمان بالغيب وبنبوة النبي صلى الله عليه وسلم التي تقتضي تميز أخباره عن

---

[33] [النبوات 507/1]

[34] [تاريخ المذاهب الاسلامية 135–136 هذا فيمن عرف ممن انتسب الى المعتزلة كما اشار الشيخ في كلامه فكيف بمن لم يعرف بل يعد من اصحاب المقالات في الفكر الاعتزالي كالمريسي وثمامة بن اشرس وابي الهذيل والنظام والجاحظ وغيرهم ،ممن ذكر في تراجمهم رقة الدين وارتكاب العظائم ،ولمعرفة هذا الامر ينظر :تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص47 ،وما بعدها ،والفرق بين الفرق للبغدادي ص121 وما بعدها ،وسير اعلام النبلاء للذهبي 92/7 ،94 ،267 ،654 ،وتدوين السنة النبوية للزهراني ص52–53]

[35] [البقرة 1–3]

أخبار غيره أصل إن لم يصحب الناظر والمريد والطالب ،في كل مقام ،وإلا خسر خسرانا مبينا ،وحاجته إليه كحاجة البدن إلى الغذاء ،أو الحياة إلى الروح .

فالإنسان بدون الحياة والغذاء لا يتقوم أبدا ،ولا يمكن هـ أن يَعلم ،ولا ان يُعلم كذلك الانسان بدون الايمان بالله ورسوله لا يمكنه ان ينال معرفة الله ،ولا الهداية اليه ،وبدون اهتدائه الى ربه لا يكون الا شقيا معذبا "[36]

ولما دخلت المبادئ الفلسفية والتي تقوم على حصر الايمان بالشيء المشاهد المحسوس وتأثر بذلك بعض أبناء المسلمين اهتز الايمان بالغيب عندهم وبدأ يظهر فيهم تعظيم الحس وتقديس العلوم التجريبية ،فحكموها بالغيب واهملوا هذا الجانب والايمان به ،فظهرت العظائم التي لم يجرؤ على الكلام بها الا من كفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم من اصحاب الديانات المنسوخة والملل المنحرفة من رد لحقائق الكتاب والسنة بل والاستهزاء في بعض الأحيان.

قال عبد الله القصيمي في كتابه " مشكلات الأحاديث النبوية " عند حديث "إن الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ":"وقد يستشكل هذا الحديث من يتحكم فيه الحس ، ومن يصعب عليه أن يؤمن الا بما وقع عليه بصره ورآه بكلتا عينيه ،ويقول :كيف يدخل الشيطان أجسامنا ونحن لا نشعر به ؟ أم كيف يدخل جسم في جسم ؟بل قد يشك في وجود الشيطان لأنه لا يراه.

هذا ما يقع فيه كثير من الناس الذين لم يعرفوا من العلوم الا أنهم سمعوا العالم العصري المثقف وهو الذي لا يثق بشيء قالته الأسلاف أو جاءت به الديانات الا أن يلمسه بكلتا يديه ويسمعه بكلتا أذنيه ". [37]

إن مما يلفت النظر ويدعو الى الاستغراب هو ان كثيرا ممن يردون السنن المشتملة على أمور الغيب تجدهم يعظمون العلوم التجريبية والمدنية الحديثة كما كان أسلافهم يعظمون علوم اليونان ويحتذون حذوها ،والذي يزيد الدهشة أن كثيرا مما تهكم به العقلانيون اصحاب الفكر الاعتزالي قد جاء العلم بمثله من غير نكير منهم مثل أية شق الصدر فإن العلم الحديث وصل الى إجراء اشد العمليات الجراحية تعقيدا من شق الصدر والقلب ،بل ما هو أكثر استغرابا من ذلك.

---

[36] [مجموع الفتاوى 67/2] والمراد بالتصديق في قولي :" مالايمكن للعقل مجردا عن الايمان التصديق بها ، هو التصديق على وجه التفضيل .

[37] [ص25]

وعليه فلا يظهر لرد السنن أي سبب الا ما أشرت اليه من ضعف هذا الاصل في القلوب مع تعظيم للحس الذي هو أساس ضلال الفلاسفة ومبلغ علمهم والله اعلم .[38]

– المنطلق الثالث:معاملة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار كسائر ما ورد عن الناس.

وهذا الأمر يدركه الناظر في كلام القوم ادني نظر ،حيث يتعاملون مع ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم كسائر ما ورد عن الناس من أخبار ،ومن مظاهر هذا التعامل هو إجراء المقاييس البشرية على كلامه صلى الله عليه وسلم من غير مراعاة لنبوة ولا رسالة ،وعدم التفريق بين السند الى قوله وبين قوله عليه الصلاة والسلام.

كما يظهر هذا الأمر في تعريفهم للخبر من حيث معناه ومن حيث انحصاره في الصدق والكذب فجرى كل واحد على وضع قوالب منطقية ليخرج بتعريف جامع مانع للخبر ،وقد انبنى هذا التصور عندهم على أمور هي :

–إهمال الوضع اللغوي الخبر، كما سيأتي توضيحه [39]

– تصور الخبر تصورا ذهنيا مجردا عن الواقع ، حيث بنيت تعاريفهم في الغالب على وجود خبر مجر د عن مخبر وبالتالي جعلوه محتملا للصق والكذب ثم اجروا الاحتمال في كل الأخبار حتى في أخبار الله تعالى وأخبار رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبار الصحابة رضي الله عنهم وأخبار أئمة الحديث وجهابذة الحفاظ، مع الإشارة هنا الى ان المعنى اللغوي للخبر لا يعين على ما ادعوه من وجود الاحتمالات وقد تنبه بعضهم لهذا ، قال صاحب كتاب (خبر الواحد وحجيته): "والخلاف في هذه المسألة لفظي –أي تعريف الخبر وانحصاره في الصدق والكذب –وذلك لأن العرب إنما وضعت الخبر للصدق دون الكذب فقول القائل :زيد قائم ،معناه عند أهل اللسان العربي حصول القيام منه وصدوره منه في الزمن الماضي ،ولم ينقل عن احد من أئمة اللغة خلاف ذلك .

ولقد أحسن القائل :إن مدلول الخبر هو الصدق ، إنما الكذب احتمال عقلي ، الا يرى انه إذا قيل لك من ابن علمت ان زيدا قائم ؟تقول له :سمعته من فلان"[40]

---

[38] [وهذا الذي اشرت اليه هو ما توصل اليه كثير ممن رد على اصحاب هذا الفكر كالشيخ السباعي في كتابه السنة النبوية ،انظر ص52–53 ،والشيخ محمد ابو شهبة في كتابه دفاع عن السنة ،انظر ص96–101]

[39] [قال ابن منظور في "لسان اعرب ":والخبر :بالتحريك :واحد الاخبار .والخبر :ما اتاك من بناء عمن تستخبر ،وقوله تعالى :"يومئذ تحدث اخبارها ،فمعناه يوم تزلزل تخبر بما عمل عليها .(10/5،مدة خبر)

[40] [ص39]مع الاشارة ان قوله ان الخلاف لفظي امر لا يسلم .

وهذا الذي أشرت إليه في مطلع كلامي وفي المنطلق الثاني من تمييز أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه ينبغي أن يكون لها من التعامل ما لا يكون لغيرها من أخبار الناس وأنه مرتبطٌ ارتباطاً وثيقا بنبوته ورسالته بل هو ما تقتضيه النبوة والرسالة ،وقد أشار اليه الشيخ السباعي رحمه الله رحمة واسعة في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع " حيث قال :"نعم إن العلماء رحمهم الله لم يستعملوا تلك المقاييس –أي قواعد نقد المتن – الا في النطاق الذي لا بد منه ،فلم يردوا حديثا الا بعد تعذر التأويل ،بحيث يتحقق فيه على وجه التأكيد فقد شرط من شروط الصحة ،ووجود علامة من علامات الوضع...

وعذر العلماء رحمهم الله واضح فيما فعلوه ،وذلك أنهم يبحثون في أحاديث تنسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ،وللنبي ظروف خاصة به ،تجعل مقياس النقد في حديثه أدق وأصعب من مقياس النقد في أحاديث الناس ،لأنه رسول يتلقى الوحي من الله ،أوتي جوامع الكلم ،وأعطي سلطة التشريع، وأحاط من إسرار الغيب بما لم يحط به إنسان عادي ..."

ثم قال رحمه الله بعد ذلك مشيراً الى بعض من أخل بهذا الأمر :"أما المستشرقون فلم يقفوا من رسول الله هذا الموقف بل نقدوا أحاديثه على وفق ما يعرفون من أصول النقد العام لأخبار الناس العاديين ،ذلك لأنهم ينظرون الى الرسول كرجل عادي لم يتصل بوحي ،ولم يطلعه الله على مغيبات ولم يميزه عن بني الانسان بأنواع من المعارف والكرامات ... فوقفوا من رسولنا عليه السلام موقف المنكر لرسالته المتشكك في صدق ما بلّغ به عن الله، المماري في سمو روحه التي اتصلت بالملأ الأعلى ولم يكتفوا بذلك بل حملوا على علمائنا لأنهم لم يقفوا منه هذا الموقف.

وعلماؤنا معذورون إن لم يتجهوا مع المستشرقين في هذا الاتجاه الخاطئ ،لأنهم يؤمنون بمحمد بن عبد الله رسولا كريما ،أرسله الله الى الناس أجمعين بشرع محكم وسعادة شاملة للناس في دنياهم وأخرتهم ."[41]

– المنطلق الرابع: جعل إتباع ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قبيل التقليد.

وهذا الأمر قد ظهر قديما عند اصحاب الفكر الاعتزالي وهو مبني على ان معرفة الله لا تكون الا من خلال الاستدلال العقلي فلا يعرف عن طريق الفطرة ولا من خلال الوحي الذي أنزله على أنبيائه ورسله بل لا بد من نظر واستدلال ، لذلك عملوا على قطع السند من كلام أئمة التابعين الآخذين عن الصحابة رضي الله عنهم وجعلوا الإتباع في ذلك تقليدا ،جاء في رد الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على بشر

---

[41] [ص306-309 بتصرف يسير واختصار]

المريسي قوله :" واحتج المعارض أيضا في رفع اثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقليد رواتها من العلماء بحكاية حكاها عن بشر بن غياث المريسي ،فقال معجبا بسؤاله :سألت بشر بن غياث المريسي عن التقليد في العلم ،فقال :حرام محرم للعلماء حتى يعرف هذا العالم أصله ومعرفته من الكتاب والسنة والإجماع "[42]

والذي يظهر أن بشرا كان يريد بهذه الدعوة فتح الباب للعقل لينظر في الكتاب والسنة من غير نظر في أقوال الصحابة رضي الله عنهم ولا أقوال من اخذ عنهم من أئمة التابعين ،ثم بعد ذلك كل واحد ينظر في القران والسنة ويقول هذا ما فهمته وتوصلت اليه ولذلك كان أئمة السلف منتبهين لهذا الأمر وما ينطوي عليه من سوء قصد ونية فاسدة .

قال الدارمي موضحا هذا الأمر :"فالاقتداء بالآثار تقليد .فان كان لا يجوز في دعوى المريسي ان يقتدي الرجل بمن قبله من الفقهاء ،فما موضع الإتباع الذي قال الله (والذين اتبعوهم بإحسان)وما تصنع بآثار الصحابة والتابعين بعدهم ، بعد أن لا يسع الرجل استعمال شيء منها الا ما استنبطه بعقله في خلاف الأثر "[43]

ثم بعد ذلك بدأ الأمر يظهر بشكل جلي حيث تعدى الى قول الرسول صراحة كما أشار الى ذلك الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه "رسالة الى أهل الثغر "[44]

وقد انبرا ابن حزم رحمه الله للرد على من سمى أتباع النبي صلى الله عليه وسلم تقليدا فقال :"نعم ، ان التقليد لا يحل البتة وإنما التقليد اخذ المرء قولَ من دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يأمرنا الله عز وجل بإتباعه قط ،ولا بأخذ قوله ،بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه .

وأما اخذ المرء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي افترض علينا طاعته وألزمنا أتباعه وتصديقه وحذرنا مخالفة أمره وتوعدنا على ذلك اشد الوعيد ،فليس تقليدا ،وما سماه احد قط من أهل الحق تقليدا بل هو إيمان وتصديق وإتباع للحق وطاعة لله عز وجل وأداء للمفترض "[45]

المنطلق الخامس :التنقص من الصحابة رضي الله عنهم وأصحاب الحديث .

[42] [نقض الدارمي على المريسي ضمن عقائد السلف ص502]

[43] [المصدر السابق ص503]

[44] [ص204]

[45] [الفصل في الاهواء والملل والنحل 2/328-329]وانظر كذلك [الاشاعرة عرض ونقض للحوالي ص27-28]

وهذا الأمر لازم لأصحاب الفكر الاعتزالي فان مبادئهم ومنطلقاتهم لا تتم لهم الا من خلال التنقص برواة الحديث عامة والصحابة على وجه الخصوص ، وقد كان لهذا التنقص أسباب كثيرة كما له وسائل متعددة :

– فمن هذه الأسباب :أن اصحاب هذا الفكر اتخذوا لأنفسهم طرقا في الدين كما تقدم ذكره في المنطلق الأول تقوم على النظر والاستدلال وظهر فيها التأثر بالفلسفة اليونانية بشكل واضح ،وعندما نظروا فيما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم لم يروا عندهم هذه الطرق مما دفعهم للوقوع فيهم والتنقص منهم ،وما قيل في الصحابة يقال في رواة الحديث ونقلة الآثار .[46]

– ومن الأسباب : أن كثيرا ممن عرف بالتنقص من الصحابة رضي الله عنهم ذكر في ترجمته انه يبطن غير دين الإسلام وهم يمثلون تلك الملل المنحرفة التي قضى عليها الإسلام ،ولا شك ان من كان هذا حاله لابد ان يعادي من فعل به هذا الفعل .

وبطبيعة الحال فإن هذه الأسباب لا تنطبق على كل من دخل في مسمى الفكر الاعتزالي ولكن آثار هذه الأسباب هي التي تظهر عليهم لا محالة ،لذلك وقع كثير من المتأخرين بالحيرة كيف يسكت الصحابة عن الكلام
في أهم مسائل الدين والمقصود بها هي تلك المسائل العقلية التي سلكها أهل الكلام ،لذلك التمسوا لهم الأعذار ؛ فمن قائل ان الصحابة رضي الله عنهم انشغلوا بالجهاد فلم يكن عندهم وقت للكلام في هذا الأمر ومنهم من
قال بل تركوه لعدم حاجتهم اليه ومنهم من ظن ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا كالعامة لا يعرفون الأدلة والحجج ولذلك ظهر عند المتكلمين ما يسمى بمذهب التفويض وهو ما لجأوا اليه عندما تعثرت بهم تلك المسالك العقلية الفلسفية الوعرة وظنوا انه مذهب ومسلك الصحابة رضي الله عنهم وأهل الحديث.[47]

– وأما الوسائل:فهي كثيرة جدا:

فمنها الطعن المباشر ،كاتهامهم بعدالتهم وان منهم من ليس بعدل ومن اللافت للنظر ان كثيرا ممن اتهم بهذه التهمة من الصحابة رضي الله عنهم يدور حاله بين قلة الرواية أو ندرتها ،ومن أولئك أمير

---

[46] [انظر :النبوات لشيخ الاسلام 634/2–636، تاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة ص135]

[47] [انظر درء التعارض 4/1 ، النبوات 634/2 وما بعدها]

المؤمنين معاوية بن أبي سفيان والوليد بن عقبة وأبو سفيان ونحوهم رضي الله عنهم والذي يظهر أن المراد هو مجرد كسر حاجز العدالة .

وأكثر من نالته سهام الطعن هو راوية الإسلام أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه، وهذا أمر قد تتابع عليه المخالفون للكتاب والسنة على اختلاف طوائفهم واعتقاداتهم.[48]

وأما الطعن غير المباشر : فكاتهام بعض الصحابة رضي الله عنهم مثل ابن عباس وابن عمرو بن العاص وكذلك أبي هريرة بالأخذ عن أهل الكتاب وأن ما أخذوه قد نسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الأمر يظهر وكأنه من باب الدفاع عن السنة وحمايتها ولكن عندما تنظر الى كم الأحاديث في الصحيحين على وجه الخصوص التي قيل فيها أنها من كتب أهل الكتاب تعلم أن المراد هو الطعن بالسنة عموما وبالصحيحين على وجه الخصوص ،وأكثر ما يستندون إليه هو الرواية عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام ، أو التشابه بين بعض ما روي وما جاء في التوراة والإنجيل .[49]

ومن الأساليب وضع الأحاديث ليشان بها أهل الحديث ويقال أنهم يروون أمورا ساذجةً ومستحيلة وذلك للتنقص منهم. [50]

–الآثار العملية للمنطلقات المتقدمة:

– الآثار العامة : وتتمثل برد السنة النبوية : فرغم تعدد الأساليب وكثرة الآراء وتنوع أصحابها إلا أن الهدف الوحيد لهم هدم دين الله والقضاء عليه ، فالدين من حيث هو دين ليس هو القران الكريم ولا هو السنة كما أنه لا ينحصر بالإجماع ولا آثار الصحابة الكرام رضي الله عنهم بل هو ذلك كله ،فإن الطعن بالسنة طعن بالدين لا محالة ، وقد اتفقت كلمة الباحثين في السنة وأصحاب المقالات أن المراد من الطعن بالسنة هو الطعن بالدين الإسلامي .

يقول الشيخ أبو شهبة رحمه الله :"وقد مني الإسلام من قديم الزمان بأعداء لا ينامون، ويضمرون له الكيد وينسجون الخيوط ويحيكون المؤامرات لذهاب دولته وسلطانه .

وهؤلاء لمَا لم يتمكنوا من المجاهرة بالعداوة لجؤا الى الدَس والخديعة واتبعوا في سبيل ذلك وسائل متعددة: فطورا عن طريق إظهار الحب والتودد لآل البيت وطورا عن طريق التأويل في النصوص الدينية تأويلا لا يشهد له لغة ولا شرع وقد حاول هؤلاء الأعداء ان يشككوا المسلمين في أساس دينهم ،وهو القرا ن

[48] [انظر الانوار الكاشفة للمعالمي ص223 ،السنة ومكانتها في التشريع ص396 ،ودفاع عن السنة ص106]

[49] [انظر الانوار الكاشفة ص96–133،وممن شان نفسه قبل كتابه وابدى بقلمه عورته صاحب كتاب البدايات الاولى للاسرائيليات في الاسلام فقد بنى كتابه على هذا التصور]

[50] [انظر الكامل لابن عدي 550/7 ،ترجمة محمد بن شجاع الثلجي ، الموضوعات لابن الجوزي 88/1 ،الاصول التي بنى عليها المبتدعة كلامهم في الصفات 261/1–262]

الكريم ...وكذلك حاولوا ان يشككوا المسلمين في الاصل الثاني وهو السنة النبوية .وقد اتخذوا للوصول الى الغاية الدنيئة أساليب متعددة ،فتارة عن طريق التشكيك في ثبوتها ، وأنها أحادية وليست متواترة .

وتارة أخرى عن طريق اختلاف الروايات التي تظهر الأحاديث بمظهر السطحية والسذاجة في التفكير ومخالفة الواقع المحسوس أو العقل الصريح، والنقل الصحيح أو التجربة المسلّمة إلى غير ذلك من الأساليب..."[51]

- أما الآثار الخاصة: وتتمثل في الطعن بالصحيحين من حيث العموم، والطعن بأفراد الأحاديث.وقبل الدخول في ذكر الآثار ، أود ان أنبه الى مسألة قد تخفى على البعض وهي ان الصحيحين لا يمثلان رأي البخاري ومسلم فقط وإنما يمثلان من حيث الجملة رأي علماء الحديث وجهابذة النقاد في ذلك الوقت ، بل قد أجمعت الأمة بعدهما على تلقي الكتابين بالقبول الا بعض الأحاديث والتي لم تكن على شرطهما كما رأى ذلك بعض العلماء.[52]

وهذا الأمر يدل عليه أدنى نظر في ترجمة الإمامين ، حيث ذكر في سيرتهما أنهما عرضا صحيحيهما على علماء عصرهما ، فضلا عن كثرة السامعين للكتابين والناقلين لهما .[53]

- وأما ما يتعلق بالآثار :

قال بعض السلف :" ما ابتدع احد بدعة الا خرجت حلاوة الحديث من قبله"

قال ابن القيم رحمه الله :" وبلغني عن كثير منهم انه كان يهم بالقيام والانصراف عند ختم صحيح البخاري وما فيه من التوحيد ،والرد على الجهمية ،وسمع منه الطعن في محمد بن إسماعيل .

وقال آخر من هؤلاء :" لقد شان البخاري صحيحه بهذا الذي أتى به في أخره "[54]

- أما الأحاديث التي طعن فيها أصحاب الفكر الاعتزالي بناءاً على تلك المنطلقات المتقدمة، فهي كثيرة جدا منها:

أ- حديث:" صلة الرحم، تزيد في العمر، والصدقة تدفع القضاء المبرم "[55]

---

[51] [دفاع عن السنة النبوية المقدمة ص7]،[الانوار الكاشفة 105، 223 ، السنة ومكانتها في التشريع 188 ،123 497 ،الاتجاه العقلي في نقد الحديث ص84]

[52] [انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص 28 ،ومجموع الفتاوى 48/18-49]

[53] [انظر سير اعلام النبلاء 8 /229 ،301/8 ، السنة ومكانتها في التشريع ص485]

[54] [الصواعق المرسلة 1040/3]

[55] [البخاري :كتاب الادب ، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم ،ح5985، 5986 ، مسلم :كتاب البر والصلة والادب ، باب صلة الرحم وتحريم قطعتها ح 20-21]

قال أبو محمد بن قتيبة رحمه الله :" قالوا حديث يبطله القران والإجماع : رويتم ان الصدقة تدفع القضاء المبرم ،والله عز وجل يقول :" إنما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون "، واجمع الناس على انه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه "[56]

ب- حديث :" إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه ،فإن في احد جناحيه سما ،وفي الأخر شفاء وانه يقدم السم ،ويؤخر الشفاء "[57].

قال أبو محمد بن قتيبة : قالوا : حديث يكذبه النظر ، كيف يكون في شيء واحد سم ،وشفاء ؟ وكيف يعلم الذباب بموضع السم ، فيقدمه ،وبموضع الشفاء فيؤخره ؟"[58]

ج- حديث :" أن موسى عليه السلام لطم ملك الموت ،فأعوره "[59]

قال ابن قتيبه رحمه الله :"قالوا :حديث يكذبه النظر ،فان كان يجوز على ملك الموت العور ،جاز عليه العمى ،ولعل عيسى عليه السلام قد لطم الأخرى فأعماه ، لأن عيسى عليه السلام كان اشد للموت كراهية من موسى عليه السلام ،وكان يقول : اللهم ان كنت صارفا هذه الكأس عن أحد من الناس فاصرفها عني "[60]

ولعلي اقالسادس:ما ذكرت من الأحاديث ،وقد ذكر الإمام ابن قتيبة رحمه الله جملة وافرة كما احتوت كتب مشكل الحديث وكتب الدفاع عن السنة عدد كبير من هذه الأحاديث .[61]

المنطلق السادس : تقديم العقل على النقل .

يعد هذا المنطلق من أهم الأسس التي اعتمد عليها اصحاب الفكر الاعتزالي وهو يمثل بأوضح صورة مدى التأثر بالأصول الفلسفية ،حيث يعتبر الفلاسفة ان أصل العلم هو الانسان كما تقدم توضيحه فيما مضى.

---

[56] [تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص239]

[57] [البخاري، كتاب بدء الخلق ، باب اذا وقع الذباب في شراب احدكم ،ح 3320،3321]

[58] [تأويل مختلف الحديث ص272 ،مشكلات الاحاديث النبوية وبيانها ص67](وقد بين ابن قتيبة رحمه الله ،انه قد جاء عن الفلاسفة اشياء على نحو ما ذكر في هذا الحديث بل كما قال رحمه الله :هي اعجب كقولهم ان الابل اذا نهشت اكلت السراطين وان الكلاب اذا كان في بطنها دود اكلت سنبل القمح ،كما بين القصمي في مشكلات الاحاديث ،ان الطب الحديث قد اثبت ما ررد في هذا الحديث ،وان كنا قد صدقنا به وامنا قبل ذلك .والله اعلم)

[59] [البخاري ، الجنائز 69 ،انبياء31 ،مسلم :فضائل 157]

[60] [تأويل مختلف الحديث :ص 333 ،مشكلات الاحاديث النبوية ص105]

[61] [ينظر كتاب مشكلات الحاديث النبوية وبيانها ،والسنة ومكانتها في التشريع والانوار الكاشفة ،ودفاع عن السنة ،والاتجاهات العقلية في نقد الحيث النبوي]

لذلك فان هذا الاصل يعتمد على أربع ركائز ،وهي :
- العقل لا الوحي هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود.
- يمكن الوصول الى المعرفة عن طريق الاستدلال العقلي .
- عدم الايمان بالمعجزات أو خوارق العادات .
- العقائد الدينية ينبغي ان تختبر بمعيار عقلي .[62]

يقول القاضي عبد الجبار رحمه الله :" فاعلم ان الدلالة أربعة ؛ حجة العقل ،والكتاب ،والسنة، والإجماع ومعرفة الله تعالى لا تنال الا بحجة العقل

ثم قال :وإما الثاني :وهو الكلام في ان معرفة الله لا تنال الا بحجة العقل ،فلأن ما عداها فرع على معرفة الله بتوحيده وعدله ،فلو استدللنا بشيء منها على الله والحال هذه كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله ،وذلك لا يجوز "[63]

وهذا الذي ذكره القاضي عبد الجبار هو الذي سار عليه إمام الحرمين الجويني في كتاب الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ،وسار عليه كذلك الفخر الرازي كما في أساس التقديس [64]

وقد تفرع عن هذا المنطلق عند اصحاب الفكر الاعتزالي كثير من الأصول التي بنوا عليها مذهبهم، وترتيب هذه الأصول كالتالي :

الأصل الأول:أن العلم بالأخبار لا يحصل الأمن جهة العدد : حيث يذهب اصحاب هذا الفكر الى ان الخبر لا يقبل في الأمور العلمية الا ان يكون متواترا وتكون دلالته يقينية .

يقول شيخ الإسلام :" وإذا عرف ان العلم بأخبار المخبرين له أسباب غير مجرد العدد علم ان من قيد العلم بعدد معين ،وسوى بين جميع الأخبار في ذلك فقد غلط غلطا عظيما ؛ ولهذا كان التواتر ينقسم الى : عام وخاص ، فأهل العلم بالحديث والفقه قد تواتر عندهم من السنة ما لم يتواتر عند العامة ،كسجود السهو ووجوب الشفعة ... وإذا كان الخبر قد تواتر عند قوم دون قوم ،وقد يحصل العلم بصدقه لقوم دون

---

[62] [الموسوعة الميسرة في المذاهب والاديان والاحزاب المعاصرة 797/2]

[63] [شرح الاصول الخمسة ص88] (يقول الدكتور سامي علي النشار :لقد اعلن المعتزلي بدون مواربة ان دلالة العقل هي الاولى ،وكانت مادته هي :نصوص الفلسفة اليونانية ،والنصوص الدينية الاسلامية) وهذا يوضح لنا معنى كلام القاضي عبد الجبار في ان القران والسنة والاجماع من انواع الدلالة .(نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام 482/1)

[64] [الرشاد ص144 ،164-166،اساس التقديس ص168-172]

قوم ،فمن حصل له العلم به وجب عليه التصديق به والعمل بمقتضاه ،كما يجب ذلك في نظائره ،ومن لم يحصل له العلم بذلك فعليه ان يسلم ذلك لأهل الإجماع الذين اجمعوا على صحته. "[65]

الاصل الثاني : تقسيم الأخبار الى أحاد وتواتر ،وهذه الدعوة قديمة قد ظهرت عند أوائل اصحاب هذا الفكر حيث كان ينادي بهما بشر المريسي وأمثاله ، وهذا كله من باب دفع الاحتجاج بالسنن والآثار والاعتماد على شبهات العقول .لذلك لا يعرف عند الأئمة المتقدمين من أهل الحديث تقسيم السنة الى أحاد وتواتر ،وان كان بعض المتأخرين قد توهم هذا ،بل ان نظرَ أهل الحديث للتواتر تختلف كليا عن نظر غيرهم ،وهذا الذي دفع الحافظ أبو عمر بن الصلاح لإنكار التواتر الذي ينص عليه الأصوليون .[66]

الاصل الثالث : ان الآحاد تفيد الظن مطلقا ،حيث جعلوا هذه قاعدة مطردة في كل ما هو دون التواتر .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :" وأما المقام السابع : وهو ان كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي يختلف باختلاف المدرك المستدل ،ليس هو صفة للدليل في نفسه ،فهذا لا ينازع فيه عاقل ،فقد يكون قطعيا عند زيد ما هو ظني عند عمرو ،فقولهم ان أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لا تفيد العلم ، بل هي ظنية هو أخبار عما عندهم ، إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم ".

وبين رحمه الله في موضع أخر ان هذا القول قد صدر من القدرية والمعتزلة وأرادوا بذلك رد الأخبار ،ثم تلقفه منهم بعض الفقهاء ممن لا علم له بمقصودهم .[67]

الاصل الرابع : ان الآحاد لا يحتج بها في العقائد .

وهذا مبني على ما قبله ،فان قلنا ان الآحاد ظنية وأن العقائد طريقها اليقين فلا تقبل الآحاد في إثبات العقائد ،وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان من منتسبي الفرق الكلامية المتأثرة بالمعتزلة ومن قبلها بالفلسفة اليونانية .[68]

الآثار العملية لهذا المنطلق :

---

[65] [مجموع الفتاوى 18/51–52، مختصر الصواعق 465]

[66] [انظر : الرد على بشر المريسي للدارمي ،ضمن عقائد السلف وعلوم الحديث لابن الصلاح ص 267 ،مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ص40/18 ،المنهج المقترح لدراسة المصطلح للشريف حاتم ص 91–127]

[67] [مختصر الصواعق المرسلة ص501،وصفحة 489،509]

[68] [ينظر شرح الاصول الخمسة ص ، والارشاد ص ، والموسوعة الميسرة في المذاهب والاديان والاحزاب المعاصرة 946/2]

من حيث الجملة فان كل أحاديث الصفات تدخل تحت تأثير هذا المنطلق ، فقد رد اصحاب الفكر الاعتزالي أحاديث الصفات ،حتى من يثبت بعضها لان الإثبات يعود عنده الى العقل .

من هذه الأحاديث، حديث رؤية الله تبارك وتعالى:" ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامالثاني:يته " حيث قالوا ،ليس يجوز في حجة العقل ان يكون الخالق يشبه المخلوق في شيء من الصفات .[69]

المبحث الثاني : الفكر الاعتزالي في العصر الحديث .

إن الناظر في أصول المدرسة العقلانية الحديثة (الفكر الاعتزالي) يعلم يقينا أنها امتداد أو على اقل تقدير تلتقي وتتفق في كثير من أصولها وآراءها مع الاتجاهات العقلية القديمة ،وهذا التشابه نلمسه في جوانب عديدة في المدرستين في أصولها ومناهجها وفي وسائلها وغاياتها .

ويمكن تلخيص أهم جوانب الاتفاق بما يلي :

أ- اتفاق المدرستين على إكبار العقل وتقديمه على النص فيما لا مجال للرأي فيه.

ب- اتفاقهما في التبعية للمذاهب والفلسفات الأجنبية عن الإسلام أو الميل إليها والإشادة بها ،فكما ان اصحاب الفرق القديمة تتلمذوا على الأفكار الفلسفية واليهودية والنصرانية ،فكذلك العقلانيون المحدثون تتلمذوا على المستشرقين ورثة الفكر الفلسفي اليوناني واليهودي والنصراني .

ج- استباحة الخوض في أمور الغيب التي لا يعلمها الا الله ،وليس للعقل قدرة على تصورها فضلا عن الحكم عليها .

د- كما اتفقت المدرستان على رد النصوص التي لا تناسب أهوامحاور:ولهم الفاسدة وعقولهم القاصرة ،ويتمثل ذلك في إنكارهم لحجية خبر الآحاد ،بل والأحاديث الصحيحة والمتواترة إذا لم تناسب أذواقهم كما فعلوا تجاه أحاديث القدر والشفاعة ،وحديث احتجاج موسى وادم وحديث الذباب ... [70]

وقد ظهر الفكر الاعتزالي في الوقت الحاضر وتجلى في ثلاثة محاور :

---

[69] [انظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص240 ، الحديث في البخاري بلفظ :" انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر " ، كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ح 554 -573 ، شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص268-269]

[70] [الشيكة العنكبوتية : مركز الوسطية للدراسات والاستشارات مقال بعنوان ، معتزلة هذا الزمان اشد بعدا عن الاسلام واصوله].

الأول :من خلال الفرق القديمة والتي لا تزال قائمة الى اليوم ، والتي إما ان تكون في أصلها ونشأتها من فرق المعتزلة الكبرى كالزيدية أو دخلها الاعتزال في مرحلة من مراحل تطورها ،كالخوارج والرافضة والاباضية وسائر الفرق الصفاتية .

المحور الثاني: من خلال أحزاب وجماعات جديدة اعتنقت هذا الفكر واختارته مثل (حزب التحرير) و(حزب الشعب السوداني) وغيرها.

المحور الثالث : الاتجاهات العقلانية والعصرانية والحدثانية وغيرها ، وتوحيد هذه الاتجاهات لدى كثير من المفكرين والأدباء والمثقفين.[71]

الاستشراق[72] والفكر الاعتزالي المعاصر :

كان الهدف الأساس الذي يقوم عليه الاستشراق هو تشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم وهو أفضل الأساليب لتحقيق التبعية للغرب ، وقد وقف المستشرقون على ذلك التراث الذي خلفه اصحاب الفكر الاعتزالي في كتبهم ، ثم عمل المستشرقون على استغلاله وزادوا عليه كما سيأتي بيانه .

يقول الشيخ محمد أبو شهبة رحمه الله : "ثم جاء بعض المستشرقين فوقفوا على أقوال هؤلاء المتحاملين فأخذوا وزادوا وأعادوا فيها ، ثم طلعوا علينا بآراء مبتسرة ، وأحكام جائرة ،ولعل من نافلة القول أن أنبه الى الأغراض السيئة التي يقصدها المستشرقون من وراء حملاتهم والتي هي امتداد للحملات الصليبية التي يقصدون منها تقويض دعائم الإسلام والعروبة ... وقد نجح المستشرقون الى حد ما في التأثير في بعض الكتاب المسلمين في عصرنا الأخير فاقتفوا أثارهم فيما زعموا ورددوا من دعاوي لم تقم عليها بينات ، بل زادوا عليها من عند أنفسهم .[73]

إذا فقد زاد المستشرقون في ذلك الإرث ما زادوه ، ثم من اخذ عنهم من المعاصرين قد زادوا من عندهم أشياء لم تكن في السابقين .

---

[71] [الشيكة العنكبوتية ، مركز الوسطية للدراسات والاستشارات ،مقال بعنوان : المدرسة العقلانية الحديثية ... افكارها واتجاهاتها]

[72] **الاستشراق:** تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ويطلق على كل ما يبحث في امور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في اجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامي ،والتي تشمل حضارته واديانه وادابه ولغاته وثقافته. [انظر : الموسوعة الميسرة 687/2]

[73] [دفاع عن السنة ص106 ،وانظر : الانوار الكاشفة 19 ،89 ،103 ، وقد بين الشيخ السباعي رحمه الله في رده على ابي رية مصادر هذا الفكر حيث قال : فرايت مصادره الاصلية في كل ما خرج به على راي جمهور المحققين من علماء السلف= =والخلف ، لا تتعدى المصادر التالية : اراء المعتزلة التي اتصلت عنهم ، اراء غلاة الشيعة ، اراء المستشرقين ، حكايات تذكر في بعض كتب الادب ، اهواء دفينة للمؤلف ، انظر السنة ومكانتها في التشريع ص18]

وعليه سيكون الكلام على هذه الزيادات وضرب الأمثلة لها ، أما ما تشابه فيه المتأخرون مع المتقدمين فلا يتعدى أن يكون تكرارا لما مضى لذلك سأكتفي بما تقدم في المبحث الثاني .

وهذه الزيادات تنحصر فيما يلي :

- الاسرائليات .
- إنكار إجماع العلماء على تلقي الصحيحين بالقبول .
- تحكيم المصطلحات الحادثة في الصحيحين
- ان اهتمام المحدثين ينحصر بنقد السند دون المتن .

الزيادة الأولى : الاسرائليات :

لقد دأب المستشرقون في كثير من كتاباتهم على إثبات ادعائهم القاضي بأن دين الإسلام ما هو الا مزيج من اليهودية والنصرانية ، وقد حاولوا التلبيس فيما يدعوه بوسائل كثيرة كقولهم ان النبي صلى الله عليه وسلم التقى ببحيرة الراهب واخذ عنه ، أو اخذ بقول بعض اليهود والنصارى الذين اسلموا ، ولكن هذا الأمر لم يلق رواجا لتعلقه مباشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ولكن استحكمت المكيدة المهولة في نسبة تلقي روايات أهل الكتاب لبعض الصحابة رضي الله عنهم خصوصا المكثرين منهم ،حيث ادعوا ان بعض الصحابة رضي الله عنهم اخذوا عن بعض من اسلم من أهل الكتاب ككعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم وقد اعتمدوا في هذه التهمة على مجرد التشابه بين ما ورد في السنة وما جاء في كتب أهل الكتاب .

وقد بين الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله هذه المكيدة بقوله :" أقول هذه مكيدة مهولة يكاد بها الإسلام والسنة ، اخترعها بعض المستشرقين فيما أرى ومشت على بعض الأكابر وتبناها أبو رية وارتكب لترويجها ما ارتكب كما ستعلمه وهذا الذي قاله هنا رجم بالغيب وحط لقوم فتحوا العالم ودبروا الدنيا احكم تدبير الى أسفل درجات التغفيل ، كأنهم رضي الله عنهم لم يعرفوا النبي صلى الله عليه وسلم ودينه وسنته وهديه

فقبلوا ما يفتريه عليه وعلى دينه إنسان لم يعرفه ، وقد ذكر أبو رية في مواضع حال الصحابة في توقف بعضهم عما يخبره أخوه الذي يتيقن صدقه وإيمانه وطول صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم ، فهل تراهم مع هذا

يتهالكون على رجل كان يهوديا فأسلم بعد النبي صلى الله عليه وسلم بسنين فيقبلون منه ما يخبرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يفسد دينه ؟"[74]

---

[74] [الانوار الكاشفة ص15]

وقد نتج عن القول بهذه المكيدة رد كثير من السنن الصحيحة الثابته عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الأحاديث :

- حديث :" الشمس والقمر مكوران يوم القيامة " [75]

قال ابو رية معلقا على هذا الحديث :ومما يدلك ان هذا الحبر الداهية قد طوى ابا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلام هذا الكاهن بالنص ويجعله حديثا مرفوعا .[76]

- ومنها حديث " فقدت امة من بني اسائيل ، لا يدري ما فعلت ، واني لا اراها الا الفأر : اذا وضع لها البان الابل لم تشرب واذا وضع لها البان الشاء شربت ، فحدثت كعبا فقال : انت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله ؟ فقلت نعم . فقال لي مرارا ، فقلت افأقرأ التوراة !؟"[77]

الزيادة الثانية : انكار اجماع العلماء على تلقي الصحيحين بالقبول :

ان مما تقرر في العلوم الشرعية أن اجماع العلماء حجة وان لكل علم من العلوم رجاله فاذا اجمع اهل الفقه على حكم لا يحل لاحد ان يخالفهم فيه لانهم هم المرجع في هذا العلم ، وينطبق هذا على سائر العلوم .

ولكن اصحاب الفكر الاعتزالي لم يرتضوا هذا الأمر بل جعلوا علم الحديث مشاعا لكل احد يقول فيه ما يشاء حتى تعدى الأمر الى القول بإنكار إجماع العلماء على تلقي الصحيحين بالقبول ، بل وإنكار

---

[75] [رواه البخاري كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر ،ح 3200]

[76] [اضواء على السنة المحمدية لابي رية ، نقلا عن الانوار الكاشفة ص180-181]

[77] [البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب خير مال المرء المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ،ح3305، ومسلم : كتاب الزهد والرقاق ، باب في الفأرة ، وانه مسخ ح 62061] يقول اسماعيل الكردي في تعليقه على هذا الحديث ، وقصد الروا ه انه لما كانت لحوم الابل والبانها قد حرمت على بني اسرايل بخلاف لحوم الغنم والبانها ، فدل امتناع الفأرة عن شرب لبن الابل ان الفئران هي مسخ من بني اسرائيل ومعنى ذلك ان الفئران بني اسرئيلية لا تزال على مر الزمن ، تلتزم بدقة بالشريعة الموسوية فتبتعد عما حرم الله عليها وتقتصر على حلاله .

ثم اشار الى مخالفة الحديث لحديث " ان الله لم يجعل للمسخ نسلا ولا عقبا " واشار الى جمع الحافظ بين الحديثين وان الحديث الاول كان في اول الامر ثم جاء الوحي ببيان ان المسخ لا نسل له ، فرد الكردي هذا الجمع بأن فيه اتهام للنبي صلى الله عليه وسلم وان الاولى توحيد الاتهام لمن كثرت اوهامه وضعف فقهه وعرف بإرساله وتدليسه وروايته عن كعب الاحبار يشير في كل ذلك الى ابي هريرة رضي الله عنه وارضاه .(انظر نحو تفعيل قواعدنقد المتن ص267-269)،وانظر ما كتبه د محمد سعيد حوى في مقال له تحت عنوان : لولا بنوا اسرائيل لم يخنز اللحم "

خصوصية أهل الحديث في أحقية التصحيح والتضعيف وعليه فقد خلصوا الى القول بجواز نقد كل ما يستشكل في الصحيحين من الأحاديث ولو لم يسبقوا الى ذلك .[78]

ولا شك ان ما ذهب اليه اصحاب الفكر الاعتزالي مردود فانه قد تقرر عند أهل العلم الإجماع على احترام اختصاص كل طائفة من العلماء بعلمهم والأخذ بما اتفقوا عليه من غبر نكير لذلك .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" فإذا اجتمع أهل الفقه على حكم لم يكن إلا صدقا وإذا اجتمع أهل الحديث على تصحيح حديث لم يكن الا صدقا ، ولكل من الطائفتين من الاستدلال على مطلوبهم بالجلي والخفي _ ما يعرف به من هو بهذا الأمر خفي " [79]

وقال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله:" وأعلاها – أي اعلي أقسام الصحيح – الأول وهو الذي يقول فيه أهل الحديث كثيرا صحيح متفق عليه يطلقون ذلك ويعنون به اتفاق البخاري ومسلم لا اتفاق الأمة عليه. لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفق عليه بالقبول وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به "[80]

وقال شيخ الإسلام:" فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقا له وعمالاً بموجبه، يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف، وهذا في معنى التواتر...

وإذا كان كذلك فأكثر متون الصحيحين معلومة متقنة، تلقاها أهل اعلم بالحديث بالقبول والتصديق، واجمعوا على صحتها، وإجماعهم معصوم من الخطأ "[81]

– أما الآثار المترتبة على هذا الاصل الذي اعتمده المتأخرون من اصحاب الفكر الاعتزالي فهي كثيرة جدا بل يدخل فيها كل حديث صحيح ردوه بأي سبب كان .

– الزيادة الثالثة: تحكيم المصطلحات الحادثة في الحكم على أحاديث الصحيحين:

استخدم المعاصرون من أصحاب الفكر الاعتزالي بعض المصطلحات للوصول الى أغراضهم المتمثلة في الطعن بالصحيحين ، وقبل ذكر هذه المصطلحات وأقوالهم أود ان أقدم بجمل متعلقة بهذا الأمر ، وإلا فان المقام لا يتسع للتفصيل :

---

[78] [ينظر كتاب : نحو تفعيل قواعد نقد المتن ص47 _وما بعدها ، وما كتبه د. محمد سعيد حوى في مقال له بعنوان : حوارات]

[79] [مجموع الفتاوى 10/1]

[80] [علوم الحديث ص280]

[81] [مجموع الفتاوى 18 /48-49]

– أولا : ان كثيرا من هذه المصطلحات حادثة لم تكن تعرف عند الصحابة رضي الله عنهم ، مثل مصطلح التدليس ومصطلح الإرسال .

– ثانيا : ينبغي ان يراعا استخدام المتقدمين من أهل الحديث لهذه المصطلحات ، ذلك ان المتأخرين قد زادوا في هذه المصطلحات ما لم يكن يعرفه المتقدمون من أهل الحديث ، وهذا له أسباب ليس المقام مقام ذكرها .

– ثالثا: ان بعض هذه المصطلحات قد أخذت عن غبر أهل الحديث كعلماء أصول الفقه كما سيأتي توضيحه .

من المصطلحات التي استخدمها اصحاب الفكر الاعتزالي :

أولا : ان قول العلماء في حكمهم على الأحاديث هذا حديث صحيح أو حديث ضعيف لا يلزم منه الصحة في نفس الأمر أو الضعف لجواز الخطأ والنسيان على الثقة وجواز صدق الكاذب وإصابة من هو كثير الخطأ .

وهذا القول في نسبته لأهل الحديث نظر، مع وجوده في كتب المتأخرين من علماء الاصطلاح، وهو مبني على أصل عقدي تقدم الكلام عنه وهو ان خبر الآحاد تفيد الظن مطلقا وقد تقدم الكلام عنه .[82]

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :" ان أهل العلم بالحديث لم يزالوا يقولون صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك –جزم منهم بأنه قال ، ولم يكن مرادهم ما قاله بعض المتأخرين ان المراد بالصحة صحة السند لا صحة المتن ، بل هذا مراد من زعم ان أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفيد العلم وإنما كان مرادهم صحة الإضافة "[83]

ثانيا : اتهام بعض الصحابة بالتدليس أو الإرسال وتنزيل حكم التدليس والإرسال عليهم لرد مروياتهم ، وان ما ورد في البخاري ومسلم معنعنا من رواية مدلس ان حكمه حكم سائر أحاديث المدلسين بمعنى أنها لا تقبل الا إذا صرح بالسماع وكان مع ذلك ثقة .

وهذا الذي قالوا من الخلط الذي لا مبرر له، فإن هذه المصطلحات كما قدمت نشأة متأخرة في ظروف معينة عندما ظهر الخلل عند بعض الرواة، وقد أوضح أهل العلم هذا الأمر وبينوه.

قال الشيخ المعلمي رحمه الله في رد ما نسبه أبو رية لأبي هريرة من التدليس :" ما يؤخذ على المدلس

---

82 [انظر نحو تفعيل نقد متن الحديث ص38-41]

83 [مختصر الصواعق ص478، وانظر كذلك 454-455]

أولا : إيهامه السماع ممن لم يسمع منه .
ثانيا : إنما لم يبين لعلمه ان الواسطة غير مرضي .
ثالثا:الأنفة من الرواية عمن حدثه .
رابعا: إيهام علو الإستاد.
خامسا: عدوله عن الكشف الى الاحتمال .

أقول: هذه الأمور منتفية فيما يقع من الصحابة رضي الله عنهم من قول احدهم فيما سمعه من صحابي أخر عن النبي صلى الله عليه وسلم:" قال النبي صلى الله عليه وسلم ". أما الأولى فلأن الإيهام إنما نشأ منذ عني الناس بالإسناد ، وذلك عقب حدوث الفتنة " ثم أشار الشيخ بعد ذلك الى ما استقر عليه الأمر من اعتماد الإسناد والذي يدل على سماع الرواة من بعضهم البعض وان منهم من كان يصرح بالسماع ولم يسمع فهذا الذي يسبب الإيهام " وهذا العرف لم يكن مستقرا في حق الصحابة لا قبل الفتنة ولا بعدها ، بل عرفهم المعروف عنهم أنهم كانوا يأخذون من النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، ويأخذ بعضهم بواسطة بعض .

وأما الثاني : فلم يكن ثمّ احتمال لان يكون الواسطة غير مرضٍ ، لأنهم لم يكن احد منهم يرسل الا ما سمعه من صحابي أخر – يثق به وثوقه بنفسه – عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن احد منهم يرسل ما سمعه من صبي أو من مغفل أو قريب العهد بالإسلام ، ومن مغموص بالنفاق ، ومن تابعي .
وأما الثالث: وهو الأنفة من الرواية عمن حدثه – فلم يكن من شأن الصحابة رضي الله عنهم
وأما الرابع: فتبع للأول
وأما الخامس : فلا ضرر في الاحتمال مع الوثوق بأنه ان كان هناك واسطة فهو صحابي "

وقد أوضح الشيخ الدكتور حاتم الشريف ضرر استخدام المصطلحات وتحكيمها في تطبيقات أهلها الذين عنهم أُخذت فقال :" ان وجدت قاعدة من قواعد علوم الحديث المنصوص عليها في كتب علومه تخالف تطبيقات أهل المصطلح ، وتناقض صريح تصرفاتهم فاعلم ان تلك القاعدة منسوفة من أساسها مقتلعة من أصولها "

فنقول: والكارثة حقا ان تجد القضية معكوسة ، حيث نسمع ونقرأ لمن ينتقد مثلا أحاديث في الصحيحين لأنها معنعنات بعض مشاهير المدلسين !! فنقول : علام اعتمدت في انتقادك لعنعنة المدلس ؟ أوليس على قواعد مبثوثة في كتب علوم الحديث ؟

ثم أوليس تلك القواعد إنما منتقضة،من تطبيقات أئمة الحديث ونقاده في قرونه السوالف ؟ فإذا وجدنا أن تلك القواعد منتقضة، أو منتقض بعضها، بمثل صريح تصرف صاحبيّ الصحيح فكيف تنتقد بالمنتقد ؟ ونبني على قاعدة منسوفة ؟"[84]

الزيادة الرابعة : ان جهود المحدثين انحصرت في نقد الأسانيد دون المتون [85]

وهذه المسألة من نفثات المستشرقين ووسوستهم لأوليائهم وقد تلقفوها تلقف الملهوف – واستشرفوها من غر مراعاة لتلك القرون الفاضلة المنصرمة وقد خفي على هؤلاء أو تجاهلوا ان هذه الأحاديث دين وهل تمضي تلك القرون ويتعبد الناس بها من غير ان يظهر الله دينه ، دعوة لو عرفوا ما فيها لما تجرأ احد على القول

بها ، بل ان المتقدمين – منهم لم يكن عندهم تصريحٌ بمثل هذا وإنما كانوا يؤولون الأحاديث التي لا تتوافق مع مذاهبهم .

أما مراعاة المتن فهو جزء مهم من اهتمام المحدثين، فالمتثبتون من المحدثين إذا سمعوا خبرا تمتنع صحته أو تبعد لم يكتبوه ولم يحفظوه، فان حفظوه لم يحدثوا به فإن ظهرت مصلحة لذكره ذكروه مع القدح فيه وفي الراوي الذي عليه تبعته.

الخاتمة:وتتضمن أهم النتائج:

---

84 [المنهج المقترح ص257] وما قيل في التدليس يقال في الارسال ، وقد اوضح الشيخ ابو زهرة رحمه الله هذا الامر وبين ان الائمة المتقدمون كانوا يقبلون من المراسيل ما لم يقبله المتأخرون ، وسبب ذلك انه كلما كان الزمن اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المجهولون الذين لم يذكروا اقرب الى فرض الثقة ، ثم اشار الى مسألة الاسناد وتطوره وما اشترطه العلماء =فيه . وعلى كل حال فهذه المسائل الاصطلاحية ، لم تكن تعرف في عهد الصحابة ونشأت احكامها بعدهم بزمن ، والله اعلم (ابن حنبل حياته وعصره – اراءه وفقهه ص181)

85 [انظر نحو تفعيل نقد متون الحديث ص168 ، سلسلة مقالات هل يوجد في الصحيحين ما يتعارض مع القران للدكتور محمد سعيد حوى ، ومنهجية التعامل مع السنة النبوية]

1) ان السنة النبوية دين يتقرب بالإيمان بمضمونها والعمل بها الى الله تعالى ، وان الايمان بها من مقتضيات شهادة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان العلم بها عند أهل السنة والحديث مبني على قواعد يقينية ، وأسس علمية لا يتخالجها شك ولا ريب .

2) لقد حصل الخلل في التعامل مع السنة النبوية في وقت مبكر ولكنه لم يتخذ منهجا عاما الا انه كان بداية لظهور مدارس فكرية تتخذ من رد السنة وعدم العمل بها منهجا له أسس وقواعد ، وكان من ابرز أسباب هذا الخلل

أولا : ضعف الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم

ثانيا : التأثر بالفلسفة اليونانية ومبادئ الفلاسفة اللادينيين .

3) ان الفكر الاعتزالي يتمثل في كل فرقة كلامية خالفت في منهجها الطريقة الشرعية ، وان هذا الفكر يمثل امتداداً لحركات تأسست اثر ظهور الإسلام وقضائه على أديان ومذاهب كانت سائرة ومنتشرة في ذلك الوقت فعملت على تقويضه من الداخل.

4) ان المنطلقات العقدية التي اعتمد عليها اصحاب الفكر الاعتزالي تقوم على أساسين اثنين

الأول: التشكيك في عدالة النقلة

الثاني : تقديم الدليل العقلي على الدليل النقلي .

5) ان جهة الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم توجب تميز أخباره عن أخبار غيره من الناس وهذا أصل لا بد ان يصحب الناظر والطالب في كل مقام ، وهذا يقتضي ان تعامل هذه الأخبار بما يناسبها ولا يجرى عليها مقاييس أخبار الناس.

6) لقد مرّ الفكر الاعتزالي بثلاث مراحل ؛ فالمرحلة الأولى مرحلة التأثر بالفلسفة و المنطق ، والمرحلة الثانية مرحلة الاستشراق ، والثالثة مرحلة التأثر بنتائج المستشرقين والمدنية الحديثة ، لذلك ظهرت مبادئ وأقوال لم تكن تعرف عند المتقدمين من اصحاب الفكر الاعتزالي .

7) ان الفكر الاعتزالي المعاصر قد ظهر في عدة محاور كما انه قد زاد في منهجه وآراءه زيادات لم تكن عند المتقدمين .

(المصادر والمراجع):

- ابن حنبل ، حياته وعصره – آراءه وفقهه . محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي –ط.بدون .ت 1418 – 1997 م
- الاتجاه العقلي في نقد الحديث د. لؤي عبد الرالدكتوراه. نبهان ، رسالة قدمت بجامعة اليرموك –اربد – الأردن . لنيل شهادة الدكتوراه . تاريخ 1426 –2005 م.
- الإرشاد لإمام الحرمين عبد الملك الجويني الشافعي ت 478 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط. الاولى 1416 –1995 م.
- الاشاعرة عرض ونقد ، د.سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، مجلة البيان 1430 ، ط.بدون .تاريخ بدون.
- الاصول التي بنا عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات ، د. عبد القادر بن عطا صوفي ، دار اضواء السلف . الرياض ، ط. الثانية 1426 –2005م.
- الانوار الكاشفة ، الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني ، عالم الكتب ، ، بيروت –لبنان ،ط.بدون ، تاريخ 1403 –1983 م .
- التنكيل لما ورد في تأليف الكوثري من الاباطيل ، للشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي ت 1386 ، دار الكتب السلفية –القاهرة ، توزيع دار الباز .مكة .ط.بدون – تاريخ . بدون .
- السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، د. مصطفى السباعي ، دار الوراق ، ط. الثالثة 1423 – 2003م.
- الصواعق المرسلةعلى الجهمية والمعطلة ، للامام ابي عبد الله محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت 756 . دار العاصمة – الرياض . الثالثة 1418 – 1998 م .

- الفرق بين الفرق للامام عبد القاهر بن طاهر البغدادي 429 ، المكتبة العصرية تحقيق محي الدين عبد الحميد ،ط. بدون ، تاريخ 1419 –1998م.
- الفصل في الملل والاهواء والنحل لابي محمد علي بن احمد المعروف بابن حزم ت 456 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط.الثالثة 1428 –2007 م.
- الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها ، علي بن عبدالله بن علي القرني ، دار المسلم ط.الاولى 1424 – 2003م.
- الكامل في ضعفاء الرجال للامام ابي احمد عبدالله بن عدي الجرجاني 365 ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان . ط. الاولى 1418 –1997م.
- المستدرك ، لابي عبدالله الحاكم النيسابوري ت 405 ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان ، ط. الثانية 1427 – 2006م.
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف للامام محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية 751 ، دار العاصمة . الرياض ط . الثانية 1419 –1998 م.

- المنهج المقترح لفهم المصطلح ، د. الشريف حاتم بن عارف العوني ، دار الهجرة. الرياض . ط.الاولى 1416 –1996 م .

- الموسوعة الميسرة في المذاهب والاديان والاحزاب المعاصرة ، اشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط .الخامسة 1424 –2003م.
- تاريخ المذاهب الاسلامية ، محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة –مصر ، ط.بدون ، تاريخ . بدون
- تأويل مختلف الحديث لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت 276 ، المكتب الاسلامي – دار الاشراق ،ط. الاولى 1989 م، بيروت . لبنان .
- تدوين السنة النبوية ، د. محمد بن مطر الزهراني ، دار الخضيري ، المدينة المنورة ، ط. الثانية 1419 –1998 م.
- خبر الواحد وحجيته ،د. احمد بن محمود عبد الوهاب الشنقيطي ، ط. الثانية 1422 ، مطبعة الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية .
- درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية ت 728 ، مطبعة جامعة الامام محمد بن سعود _ الرياض ، ط. بدون ، تاريخ .بدون .
- دفاع عن السنة للشيخ الدكتور محمد بن محمد ابو شهبة ، مكتبة السنة ، القاهرة . ط. الثانية 1428– 2007 م.
- رسالة الى اهل الثغر للامام ابي الحسن الاشعري علي بن اسماعيل بن ابي بشر ت 324 ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ،ط.الثانية 1422– 2002م.
- سير اعلام النبلاء ، للامام محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ت 748 ، مكتبة الصفا . القاهرة ،ط. الاولى 1424 –2003م.
- شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن احمد ، تعليق احمد بن الحسين بن ابي هاشم ، مكتبة وهبة، القاهرة . مصر . ط. الرابعة 1427– 2006م.
- شرح العقيدة الطحاوية ، للقاضي علي بن علي بن محمد بن ابي العز الحنفي ت 792 ، دار عالم الكتب _ الرياض ، ط. الثالثة 1418 –1997 م.
- صحيح البخاري ، لابي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ، المكتبة السلفية ،ط. الاولى 1400
- صحيح مسلم ، للامام ابي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت261 ، دار عالم الكتب ،ط .الاولى 1417– 1996م.
- عقائد السلف ، علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي ، الناشر مكتبة المعارف الاسكندرية ، ط.بدون تاريخ 1971 م.

- علوم الحديث ، للامام ابي عمرو عثمان بن عبد الحمن الشهرزوري ت 643 ، دار الفكر . دمشق . سورية ،دار الفكر المعاصر ، بيروت . لبنان ، ط. مصورة عن الطبعة الثالثة 1984 –صورة 1423 – 2003م.
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي ، دار النفائس ،ط.الثالثة 1422 –2001م.
- لسان العرب جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر .بيروت . لبنان ،ط. الثالثة 2004م.
- مشكلات الاحاديث النبوية وبيانها ، تأليف عبد الله بن علي النجدي القصيمي ،دار القلم ، بيروت . لبنان ،ط. الاولى 1405–1985 م.
- مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن تيمية ت 728 ،دار ابن حزم – دار الوفاء ،ط. الثانية 1422–2001 م.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للامام محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية ت 756، اختصره الشيخ محمد بن الموصلي ،دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ،ط.بدون . تاريخ. بدون.
- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند اهل السنة والجماعة ، عثمان بن علي حسن ، مكتبة الرشد، الرياض ، ط. السادسة 1429– 2008م.
- موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف ، شفيق بن عبد بن عبد الله سقير ، المكتب الاسلامي ، بيروت –لبنان ،ط. الاولى 1419 –1998م.
- نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث ، اسماعيل الكردي ، دار الاوائل ، دمشق –سورية ،ط الاولى 2002 م.
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، د. علي سامي النشار ، دار السلام ، القاهرة ،ط. الاولى 1429 – 2008م.